

## المحاضرة الرابعة:

أنواع السياق (سياق نصي، وجودي، مقامي...)

## أهداف المحاضرة:

### الهدف الخاص:

- أن يبيّن الطالب أنواع السياق في البحث التداولي.

### الأهداف الإجرائية:

- أن يفرّق بين السياق الدلالي والسياق التداولي
- أن يستخرج أنواع السياق الدلالي وأنواع السياق التداولي.

## تمهيد:

مادامت اللّغة ليست أداة للتّواصل بين أفراد المجتمع فحسب إنّما عكس بطريقة خاصّة للعالم، فإنّ آليات البحث عن المعنى الدلالي تكون بالنّظر الوصفي الآني للمجتمع اللّغوي الثّابت قصد معرفة الأبعاد الثقافيّة لهذا النّظام، وما الكلام إلا قطعة فرديّة من ذلك الكلّ. هذا يؤكّد "أنّ الإنسان يعيش داخل الوجود اللّغوي، وهي مقولة تنسب للمذهب الفلسفي الوجودي، فهو لا يتنقّس إلا اللّغة ولا يجد مخرجا في محادثاته اليوميّة إلا باللّغة"<sup>1</sup>. ومن ثمّ، فإنّ التّعقيد الذي طال اللّغة جعل الباحثين يركّزون عليها أكثر بأن جعلوا لها مستويات متدرّجة لتحليلها، لعلّ المستوى الدلالي هو الغاية القصوى، فأصعب ما قد يصل إليه المحلّل الدلالي هو المعنى الذي تعبّر به اللّغة عن الوجود والثّقافة بشكل عام.

### 1. أنواع السياق من المنظور التداولي:

لذلك، يتبلور النّظام اللّغوي داخل بيئة اجتماعيّة تحكمها تركيبية معرفيّة وثقافيّة خاصّة، فاللّغة تنمو وتتطوّر داخل هذا الإطار وقد تموت كما الكائن الحي، وفي هذه الرّحلة تحمل السّمات الثّقافية والفكرية لتلك الأمة لتعبّر بطريقتها الخاصة عن تصوّرها للعالم، "فالثّقافة ليست هي المجال الأكثر عمقا بالنّسبة لمجتمع ما فحسب، بل إنّها تمثل أيضا المجال الأكثر ارتفاعا وفعالية، ومن ثمّ تعدّ الثّقافة سمة أساسية لصيرورات المجتمع المعقدة والمتداخلة، ونحن نستنبط بواسطتها الأوامر والضّوابط والنّواهي والمعاني من العبارات اللّغوية المتداولة على لسان الجماعة"<sup>2</sup>، والفرد بطبيعته يتأثر بالظواهر اللّغوية لكنّه في تواصله لا ينقل النّظام اللّغوي الاجتماعي كاملا إنّما يوظّف مقولات فرديّة ويعبّر بأساليب خاصة وفق ما يقتضيه سياق الحال إذ هناك خلفيات ومواقف تحيط بالحدث الكلامي حسب مقاصد المتلقّظ.

مما سبق، يمكن أن نلمس ولو نسبيا الفرق بين المعنى اللّغوي الاجتماعي وبين المعنى الكلامي الاجتماعي عن طريق التّركيز على موضوع الدّراسة إن كان اللّغة أو الكلام، ولعلّ "دي سوسير" قد عبّر عن كل اتّجاه بمصطلح دقيق "علم اللّغة" و"علم لغة الكلام"، ومنهما استنبط الثنائيتين معتبرا اللّغة مشتركة لدى الجماعة في شكل ذخيرة من الانطباعات مخزّنة في ذهن كل فرد من أفراد المجتمع، إذ يكاد الأمر يشبه المعجم

<sup>1</sup> صلاح الدين زرال، الظاهرة الدلالية عند علماء العربية القدام حتى نهاية القرن الرابع الهجري، ص369

<sup>2</sup> عبد الفتاح أحمد يوسف، لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة فلسفة المعنى بين نظام الخطاب وشروط الثقافة، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2010، ط1، ص47.

الذي توزّع منه نسخ على كلّ فرد في المجتمع، ومن ثمّ اللّغة لها وجود في كل فرد لكنّها لا تتأثّر برغبة الأفراد لأنّها تحمل طابع الاشتراك والاتّفاق، في حين يعتبر الكلام مجموع ما يقوله النّاس ويضمّ الفعاليات الفردية التي تعتمد على رغبة المتكلّم، إضافة إلى الأفعال الصوتية التي تعتمد أيضا على إرادة المتكلم لتحقيق أغراض ذاتية، هذا يعني أنّ الكلام بالنّسبة إليه ليس وسيلة جماعية بل مظاهر فردية غير ثابتة، إذ لا نحصل من الكلام إلا على مجموعة من الأفعال الخاصة<sup>3</sup>. ومن جهة أخرى، الفرد في تواصله واستعماله الكلامي لا يُمكن أن يغيّر النّظام اللّغوي الثّقافي بمفرده إنّما الاتّفاق هو المتحكّم في الأمر.

وهذا يعني أنّ النّظام الاجتماعي لا يعني النّظام الكلامي يل يعني النّظام اللّغوي، والثّقافة باعتبارها القاسم المشترك بين الأُمَّة الممثلة في العادات والتّقاليد والمجال الكليّ الذي يوطّر اللّغة، فإنّها تؤثر في التطور الدلالي الذي يحصل في نظام مجتمع معين، فتغيّر التركيبة اللّغويّة الثّقافية لبيئة ما يكون بفعل قوة نظام لغوي ثقافي جديد، كمثّل النّظام القرآني الذي أزاح النّظام الجاهلي جنبا وتسيّد في الأُمَّة العربيّة، حيث أحدث تغييرا جذريا للبنية اللّغوية الثّقافية، وبعدها تكفّل بشرح أسباب ذلك. فعبرت اللّغة القرآنية عن رؤيتها الخاصة للعالم، لأجل ذلك دراسة الأبعاد الدلالية لا بد أن تكون في صلب النّظام اللّغوي الثّقافي الذي يحكم مجتمعا معينا من خلال الانفتاح على كل المرجعيات المعرفيّة لتكون في روح المجتمع ونفهم بعمق علاقة اللّغة بها. وهذا هو المفهوم الذي حاول إثباته "فيرث" بدراسته الاجتماعية للمعنى فهو لم يخرج من نطاق اللّغة والتّحليل الموضوعي له، "وترتكز الدّراسة الاجتماعية للغة على توطيد العلاقة بين الظواهر اللّغوية والاجتماعية"<sup>4</sup>.

إنّ النّظرية السّياقيّة في الدّرس الدلالي لا تفهم من ناحية السّياق المحيط بالكلام، إنّما تُفهم من ناحية السّياق المحيط باللّغة، حيث يُمكننا من فهم الثّقافة ورؤية المجتمع للعالم بصورة وصفية تحليليّة، ولصعوبة هذا التّفريق نجد الأمر يلتبس على العديد من الباحثين، تقول الباحثة "شفيقة العلوي": "تقوم نظرية فيرث السّياقية على إعادة الاهتمام بالأحوال والمحيط الذي يتضمن الأحداث الكلامية، فالقول إنّ الإدراك اللّغوي والمعرفي يحصلان عندما تنتقل الأفكار من رأس المتكلم إلى السامع، ليس سوى خرافة مضلّلة"<sup>5</sup>.

فحتى إن كانت الباحثة قد أخرجت المعنى عمّا يتمركز في الدّهن، ذلك أنّ "فيرث" تخلّى عن النّزعة العقلية وحاول تطبيق منهج عملي بفتح مجال اللّغة على الواقع الاجتماعي، إلا أنّها ركّزت على مصطلحات التّداولية

<sup>3</sup> فردينان دو سوسير، علم اللّغة العام، تر: يوثيل يوسف عزيز، دار الفاق العربية، 1985، ص38.

<sup>4</sup> ميلكا إيفيتش، اتجاهات البحث اللساني، تر: سهد عبد العزيز مصلوح، المجلس الأعلى للثقافة، 2000، ط2، ص132.

<sup>5</sup> شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، أبحاث للترجمة والنشر، لبنان، 2004، ط1، ص20.

والسياق الكلامي لا السياق اللغوي الذي نبه إليه صاحب النظرية. وبالتالي إذا أردنا دراسة الأبعاد الدلالية لأبد من التركيز على أنّ موضوع الدراسة هو اللغة لا الكلام؛ فهذا الأخير يدخل ضمن مباحث البراغماتية، أما علم الدلالة فيدرس "اللغة"، في حين يدرس علم التخاطب "الكلام"، وهو فرق بين الجملة والقولة بما هي تجسيّدات فعلية للجملة وهو فرق ناشئ عن التمييز بين اللغة والكلام، ومن ثم فإنّ معاني الجمل هي موضوع علم الدلالة ومعاني القولات هي موضوع علم التخاطب، وهنا يحدث الفرق بين المعاني اللغوية ومقاصد المتكلمين التي نصل إليها بمعرفة السياقات التي قيل فيها الكلام ومعرفة طرفي الملفوظ وإعمال القدرات الاستنتاجية.<sup>6</sup>

لكن من جهة ثانية نجد أنّ مصطلح السياق يدخل المجال التداولي ليحدّد التأثيرات التي تُجرى على الخطاب ومدى تحقّق التفاعل بين مستعمليه ونجاح العملية التّواصلية، فهو أيضا أساسي في الدرس التداولي ومتّسع المفهوم ومهمّ في النظر إلى الجوانب الاجتماعية والنفسيّة المؤثّرة في لحظة الاستعمال اللغوي، إذ يقسم لنا "بن ظافر الشهري" أنواعه إلى قسمين هما:<sup>7</sup>

- السياق اللغوي .

- سياق التلفظ، أو سياق الحال، أو سياق الموقف.

ويأخذ الباحث التقسيم الذي وضعه (بريت Parret)، ومن خلال ذلك يتم تقسيم التداوليات إلى أنواع وهي خمسة أنواع: "سياق القرائن (Co-text as context)، وهذا ما يسم بنحو النصّ، السياق الوجودي (Existential context)، السياق المقامي (Situation context)، سياق الفعل (Actional context)، السياق النفسي (Psychological cotext)" ونجده يحلّلها وتفصيلا لها.<sup>8</sup>

1. **السياق النصّي:** ويتعلّق تداوليا باستراتيجيات تحليلية تتجاوز معايير الربط التركيبي للإحالة بين

الجمل إلى الاهتمام بالسياق الخارجي أيضا المحيط به وعلاقته بالجوانب الاجتماعية النفسية.

2. **السياق الوجودي:** وهنا يشير إلى مقوّمات التداولية والعناصر المشكّلة للحلقة التواصليّة من

المرسل والمرسل إليه وموقعهم الزماني والمكاني، وفيه يتم تحليل التتابعات اللغوي أو الإشارية في

<sup>6</sup> محمد محمد بونس علي، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، 2004، ط1، ص ص 14، 15.

<sup>7</sup> عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، ص40

<sup>8</sup> ينظر: المرجع نفسه 42 وما بعدها

علاقتها بمرجعها بما يضمه من عالم الأشياء وحالاتها وكذا الأحداث، وهو ما يقود إلى صنف إشاري للدلالة، أو تلك الجوانب الغير لغوية.

3. **السياق المقامي:** إنّ العملية التخاطبية تجري بلا شك ضمن ظروف ومواقف خاصة، زمانيا مكانيا وهي محدّات تؤطّر الحدث الكلامي كما تساهم في بناء الخطاب.

4. **سياق الفعل:** إنّ التسلسلات اللغوية حسب فيلسوف اللغة البريطاني "جون لانجشو أوستن John Langshaw Austin" تعبر عن أفعال، وتلك المنطوقات الأدائية تعبر عن القوى الإنجازية لأنّ الأفعال اللغوية هي أفعال إرادية يقصد المرسل إنجازها، ولكن أن تكون اللغة فعلا فلا بدّ من توافر شروط ومعايير يوافقه فيها اللساني الفرنسي "أوزفالد ديكرود Oswald Ducrot": "منها دور العرف الاجتماعي لإنتاج اللغة من قبل المرسل، وتبعاً لكون التلفظ فعلا من منظور "أوستن"، يوسّع فيلسوف اللغة البريطاني (هربرت بول جرايس Paul Grice) الأفعال الكلامية ضمن حلقة تفاعلية من خلال مبدأ التعاون وأهمية قواعده في الاستلزام الحوارية.

5. **السياق النفسي:** لعلّ اهتمام المقاربة التداولية بالخطاب المستعمل تجعل مهمة التحليل التداولي منوطة بالحالات الذهنية وال نفسية التي تقف خلف الرغبات والمقاصد، فمعنى كون الخطاب فعلا وأنّ الفعل اللغوي قصد مشروط يعني دمج تلك الحالات بوصفها السياق النفسي المحيط بإنتاج اللغة وفهمها، وهو جزء لا يتجزأ عن استراتيجيات بناء الخطاب وتحليله.

## مراجع المحاضرتان الثالثة والرابعة:

1. ابن جني، الخصائص، تح: محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة، بيروت، ج 1.
2. نصر حامد أبو زيد، مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط 1، 1998.
3. الجرجاني الشريف، التعريفات، مكتبة لبنان، ساحة رياض الصلح، بيروت، 1978.
4. فردينان دو سوسير، محاضرات في الألسنية العامة، تر: يوسف غازي، مجيد النصر.
5. محمود عكاشة، التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، دراسة في الدلالة الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية، دار النشر للجامعات، مصر، ط 1، 2005.
6. صائل رشدي شديد، عناصر تحقيق الدلالة في العربية، دراسة لسانية، عالم المعرفة، ط 1، 2004.
7. علي زوين، منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، ص 94.
8. أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، 1998، ط 5 ص 68، 69.
9. د علي زوين، منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، ص 185.
10. د تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، القاهرة، 1994، ط 1.
11. هدرسون، علم اللغة الاجتماعي، تر: محمود عياد، عالم الكتب، 1990، ط 2.
12. أحمد مختار عمر، علم الدلالة.
13. ينظر: صلاح الدين ززال، الظاهرة الدلالية عند علماء العربية القدام حتى نهاية القرن الرابع الهجري، منشورات الاخلاف، الجزائر، 2008،
14. عبد الفتاح أحمد يوسف، لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة فلسفة المعن بين نظام الخطاب وشروط الثقافة، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2010، ط 1.
15. فردينان دو سوسير، علم اللغة العام، تر: يوثيل يوسف عزيز، دار الفاق العربية، 1985.
16. ميلكا إفيتش، اتجاهات البحث اللساني، تر: سهد عبد العزيز مصلوح، المجلس الأعلى للثقافة، 2000، ط 2.
17. شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، أبحاث للترجمة والنشر، لبنان، 2004، ط 1.
18. محمد محمد يونس علي، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، 2004، ط 1.
19. عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية

